- ٤ -

كانت جميع كنائس (الهند) تحمل في عصر «ماني» اسم «توما»، وتزعم كلها أن الحَوارِيَّ بناها بنفسه وتحتفظ منه بالأساطير والذخائر. وكانت تلك البِيَع في أكثر الأحيان متواضعة، وبعضها يقوم في كهوفٍ (غندرا)، وكان يكفي لإذكاء هذا المعتقَد الذي لا يزال جديداً صليبٌ وثلاثةُ مشاعل.

ولم يكن الأمر على هذا النحو في (دَبْ). فقد كان الازدهار، كما يليق بمدينة تجّار، يشعّ في أمكنة العبادة، وما تضمّ من الأشياء المتعلّقة بها، وكان الذهب المكسوب بالطرق الشريفة يتدفّق عليها بدافع العرفان، والذهب المشكوك في أمره بدافع التوبة. وازدانت الكنيسة واتّسعت، وأخذ أهل المدينة يلتقون فيها عابري السبيل من مثل بحّار إسكندريّ داخلٍ حديثاً في الدين أو راغبٍ في التنصُّر من (أوستيا) وقد أبهجهما أن استطاعا في نهاية الأمر أن ينعما بممارسة عقيدتهما جِهاراً.

ومن الملائم القول إن المدينة كانت قد عاشت طويلاً تحت السيطرة المتسامحة التي مارسها «الكوشانيّون» ورثة «كانشكا» العظيم أحد ثلاثةٍ من أعدل الملوك الذين احتفظ «الشرق» بذكراهم، «كانشكا» الجليل الذي كان يشرِّفه، وهو في أوْج نفوذه، أن يستضيف تحت سقفه بعض الرهبان المتسوِّلين. وقد كان